المنتزع الثاني منتزع من أقوال الأئمة عليهم السلام

في ذكر بعض ما اختلف فيه أهل الكلام من الأقوال في الذوات والصفات والأحكام

من تصنيف

السيد الإمام حميدان بن يحيى القاسمي -عَلَيْهِمَا السَّلامُ-

[ديباجة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

[وصلى الله على محمد وآله وسلم]([1])

أما بعد حمد الله تعالى ذي الجلال والإكرام، والصلاة على محمد وآله المختارين([2]) **على علم على الأنام.**

فإني قد جمعت من كثير من كتب الأئمة – عَلَيْهم السَّلام – جُملاً تنبه من أحب التدبر([3]) لفوائد كتبهم، والسلوك في طلب علم التوحيد لمذهبهم، والتمسك من مغالط أهل الضلال بهم؛ فمن ذلك:

[ذكر أقوال الأئمة (ع) في الذات والصفات والأحكام]

[أقوال أمير المؤمنين (ع)]

قول أمير المؤمنين – عَلَيْه السَّلام – في وصيته لابنه الحسن – عَلَيْهما السَّلام – في ذكر ما يجب من النظر، وما لا يجوز: (واعلم – أي بني – أن أحب ما أنت آخذ به من وصيتي تقوى الله، والإقتصار على([4]) ما افترض الله عليك، والأخذ بما مضى عليه أولوك من آبائك، والصالحون من أهل بيتك؛ فإنهم لم([5]) يدعوا أن ينظروا([6]) لأنفسهم كما أنت ناظر، وفكروا كما أنت مفكر، ثم ردهم ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، والإمساك عما لم يكلفوا).

..**إلى قوله –عَلَيْه السَّلام–**: (واعلم [يا بني]([7]) أن أحداً لم ينبيء عن الله عز وجل كما أنبأ محمد - صلى الله عليه وعلى أهله - فارض به رائداً، وإلى النجاة قائداً).

وفي الخطب المحكية عنه في كتاب نهج البلاغة وفي الدرة اليتيمة **قوله** –عَلَيْه السَّلام–: (انظر([8]) أيها السائل فما دلك القرآن عليه من صفته فائتم به، واستضيء بنور هدايته، وما كلفك الشيطان علمه، مما ليس عليك في القرآن فرضه، ولا في سنة النبي - صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّم - وأئمة الهدى أثره، فَكِلْ علمه إلى الله؛ فذلك منتهى حق الله عليك).

وقوله: (والملائكة المقربون على كمال البنية، وصفاء الجوهرية، وتقادم الابتداء، وسوابق المعارف بالمعنى، ومقاربة النجوى، من الخلق الأول، والنور الأفضل، وعلو المنازل والمقامات المعلومة، والآلاء المحمودة، لا يعلمون منه إلا ما علمهم **{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}** [البقرة:32] ، فكيف من هو من بعدهم في الحلية، ودونهم في المعرفة، كذب العادلون، وخاب المفترون، وخسر الواصفون، بل هو الواصف لنفسه، والملهم لربوبيته، والمظهر لآياته، إذ كان ولا شيء كائن).

وقوله في إيجاب الأزلية لله وحده، ونفي الصفات عنه: (والحمد([9]) لله الذي دل على وجوده بخلقه، وبحدث خلقه على([10]) أزليته، وباشتباههم على ألا([11]) شبه له).

وقوله: (والذي الحدث يلحقه، فالأزل يباينه).

وقوله: (عالم إذ لا معلوم، ورب إذ لا مربوب، وقادر إذ لا مقدور).

وقوله: (أول الدين معرفة الله، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له، نفي الصفات عنه، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة([12]) **كل موصوف أنه غير الصفة؛ فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله).**

وقوله: (لم يلتبس به حال، ولا نازعه بال، ولا الذاتُ ذَيَّتَتْهُ، ولا الملكة([13]) **ملكته، ولا الصفة أوجدته، بل هو موجد كل موجود، وخالق كل صفة وموصوف).**

وقوله: (باينهم بصفته رباً كما باينوه بحدوثهم خلقاً؛ فمن وصفه فقد شبهه، ومن لم يصفه فقد نفاه، وصفته أنه سميع ولا صفة لسمعه).

وقوله: (من وصفه فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن عده فقد أبطل أزلَه).

وقوله: (ليس لذاته تكييف، ولا لصفاته تجنيس، احتجب عن العقل([14]) **كما احتجب عن الأبصار).**

وقوله: (واحد لا بعدد، دائم لا بأمد، قائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادله الأجناس).

وقوله: (صفته أنه لا مثل له من خلقه، وحليته أنه لا شبيه له من بريته، ومعرفته ألا([15]) إحاطة به، والعلم به ألا([16]) مَعْدِلَ عنه).

وقوله: (دل على كونه بعظيم ما خلق، وأبان قدرته بعجائب ما صنع، وبان عن الصفات بخلقه كل موصوف، وبانت عنه الصفات لأنه([17]) **بغير الصفة معروف).**

وقوله في الإدراك والإرادة: (عينه المشاهدة لخلقه، ومشاهدته لخلقه ألا امتناع منه، سمعه الإتقان لبريته، ومشيئته الإنفاذ لحكمه، وإرادته الإمضاء لأموره).

وقوله: (يقول ولا يَلْفِظُ، ويحفظُ ولا يتحفَّظُ، ويريد ولا يُضْمِرُ، [ويحب] ([18]) **ويرضى من غير رِقَّة، ويبغضُ ويغضبُ من غير مشقَّة).**

[أقوال الإمام الحسن بن علي (ع)]

وقال الحسن بن علي أمير المؤمنين – عَلَيْهِم السَّلام – في جوابه لابن الأزرق: أصف إلهي بما وصف [به]([19]) **نفسه، وأعرفه بما عرف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس.**

[أقوال الإمام زين العابدين (ع)]

وقال زين العابدين علي بن الحسين – عَلَيْهما السَّلام – في جوابه لنجدة بن عامر: سبحان من ابتدع البرايا فأحارها، وأنشأها فأمارها، وشيأها فأصارها، لا من شيء كان قبلها، ولا عن مثال احتذاه لها.

وقال: كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث.

وقال: له جل جلاله معنى الربوبية إذ لا مربوب، وحقيقة الإلهية ولا مألوه([20])**، ومعنى العلم ولا معلوم.**

وقال: أول عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي جميع صفات التشبيه عنه، لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالإقتران، وشهادة الإقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل الممتنع من الحدث.

وقال: فأسماؤه([21]) تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعداه من اشتمله، وقد أخطأه من اكتنهه؛ فمن قال كيف؟ فقد شبَّهه، ومن قال لِمَ؟ فقد أعلّه.

وقال: فاعل لا باضطراب [آلةٍ]([22])، مقدِّرٌ([23]) لا بجَوَلاَنِ فكرةٍ، مدبِّرٌ لا بحركةٍ، مريد لا بهُمَامَةٍ، سميعٌ لا بآلةٍ، بصيرٌ لا بأداةٍ.

[أقوال الإمام جعفر الصادق(ع)]

وقال جعفر بن محمد الصادق – عَلَيْهما السَّلام – في كتاب الإهليلجة: في كل شيء أثر تدبير وتركيب، شاهد يدل على صُنْعِهِ والدلالة على من صَنَعَهُ، ولم يك شيئاً.

وقال: من قال الإنسان واحد فهو له اسم وتشبيه، والله سبحانه واحد وهو له اسم، وليس [له]([24]) بتشبيه، وليس المعنى واحداً.

وقال: إنما يسمى([25]) تعالى سميعاً بصيراً لأنه لا يخفى عليه شيء.

وقال: الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل، فأما عن الله عز وجل فالإرادة للفعل إحداثه؛ لأنه لا يرى ولا يتفكر.

[أقوال الإمام القاسم بن إبراهيم(ع)]

وقال القاسم بن إبراهيم – عَلَيْه السَّلام – في كتاب الرد على النصارى في نفي المشاركة بين الله سبحانه وغيره: جل جلالهُ عن أن يصح عليه تشبيه لشيء أو يناله في أزلية قديمة، أو ذات أو صفة ما كانت من الصفات إذ في ذلك لو كان كذلك إشراك غيره معه في الإلهية، إذ كان شريكاً له في القدم والأزلية.

وقال: فكلما سواه فخلق ابتدعه وابتداه، فوجدنا لله خلقاً بدءاً بعد عدمه، بريأً من مشاركة الله في قدرته وقدمه.

وقال في كتاب الرد على ابن المقفع: الأشياء ليست إلا قديماً أو حادثاً، لا يتوهم متوهم فيها وجهاً ثالثاً.

وقال في كتاب المسترشد: فإن سأل من الجهمية سائل فقال: هل الله شيء؟

قيل له: نعم، الله شيء لا يشبه الأشياء، الأشياء مُشَيَّأةٌ وهو سبحانه شيءٌ لا مُشَيَّأً بل الله مُشَيِّءُ الأشياء لا يشبه ما شَيَّأه[26]، **وليس في قولي أنا شيء والله شيء تشبيه.**

..إلى قوله: وقد يشتبه قولي شيء وشيء، ولا يشتبه المسمى إلا إن أوقع عليه من أي الأشياء هو وما هو فحينئذ تشتبه المسميات.

وقال في كتاب الدليل الكبير: وهذا الباب من خلافه سبحانه لأجزاء الأشياء كلها، فيما يدرك من فروع الأشياء [جميعاً[27]] وأصلها، فيما[28] لا يوجد أبداً إلا بين الأشياء وبينه، ولا يوصف بها أبداً غيره سبحانه، وهي الصفة التي لا يشاركه فيها [سبحانه][29] مشارك، ولا يملكها عليه تعالى مالك، ولا يعم[30] الأشياء اختلاف عمومه، ولا يصحح الألباب أبداً إلا لله معلومة؛ لأنه وإن وقع بين الأشياء ما يقع من الإختلاف، فليس يوجد واقعاً إلا بين ذوات الأوصاف، وكل واحد منها وإن خالف غيره في صفة فقد يوافقه في صفة أخرى [سواء][31] كان مما يعقل أو كان مما يلمس ويرى.

وقال في جواب مسألة[32] الطبريين: فهذه صفته تبارك وتعالى في الأينية [الثبوت][33]، والذات ليست فيه جل ثناؤه بمختلفة، ولا ذات أشتات، ولو كانت فيه مختلفة لكان اثنين أو أكثر في الذكر والعدة، وإنما صفته سبحانه هو.

وقال في كتاب التوحيد: وهو الواحد لا من عدد، ولا فيه عدد يجزأ، وليس شيء يقال إنه واحد في الحقيقة غير الله تعالى[34].

[أقوال الإمام محمد بن القاسم(ع)]

وقال محمد بن القاسم – عَلَيْه السَّلام – في كتاب الوصية: الحمد لله الحي القيوم ذي العظمة والجلال، الذي لم يزل ولا شيء غيره.

وقال: حقيقة الإيمان به أنه هو الذي [هو][35] **خلاف الأشياء كلها.**

وقال: حقيقة اليقين[36] **به والمعرفة له أنه لا يدرك بحلية ولا تحديد ولا تمثيل ولا صفة، وكيف يوصف من لا تدركه العقول ولا الفكر ولا الحواس.**

..**إلى قوله**: وقد روي عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْه وآله وَسَلَّم – أنه قال: ((تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق)) فاجعل تفكرك في صنعه، تستدل [منه][37] على عجيب فعله، وعظيم[38] قدرته، في كل محدث، ولا تفكر فيه فإنك تتيه، وتهلك [نفسك[39]]، فاستعمل العقل، وتابع السمع، واستدل باليسير على الكثير تسلم.

وقال في كتاب الأصول: وصفته لذاته، هو قولنا لنفسه، نريد بذلك حقيقة وجوده.

وقال في كتاب الشرح والتبيين: [و][40]إنما عنى بقوله [تبارك و]تعالى سميع بصير الدلالة لخلقه على دركهم وعلمه لأصواتهم، التي إنما يعقلون دَرَكَها عندهم بالأسماع، وأنه مدرك عالم بجميع أشخاصهم وهيآتهم وصورهم، وألوانهم وصفاتهم وحركاتهم، التي إنما يعقلون دَرَكها بالعيون والأبصار إذ إدراك[41] المخلوقين للأصوات والأشخاص بالأسماع والعيون، التي ربما كَلَّت وتحَيَّرَت، وأخطأت وأدركت ظاهراً دون باطن وقَصُرَت، ودَرَكُ الله تبارك وتعالى لهذا كله دَرَكٌ واحد محيط بما ظهر وبطن، وبما بَعُدَ وقَرُبَ، وهو دَرَكُ علمه الذي لا يفوته من المدركات شيء.

[أقوال الإمام الهادي(ع)]

وقال الهادي للحق[42] يحيى بن الحسين – عَلَيْه السَّلام – في كتاب المسترشد: نقول إن ربنا جل وتقدس إلهنا شيء لا كالأشياء سبحانه وتعالى وتبارك لا شبيه له ولا يدانيه شيء، ولم يزل سبحانه قبل كل شيء، وهو المشيء لكل الأشياء.

وقال: نريد بقولنا شيء إثبات الموجود[43]، ونفي العدم المفقود؛ لأن الإثبات أن نقول: شيء، والعدم أن لا نثبت شيئاً.

وقال: يعلم ما يكون قبل كينونته، كما يعلمه من بعد بينونته.

وقال: وليس قولنا صفتان قديمتان أن مع الله سبحانه صفة يوصف بها، ولا [نقول][44] إنّ ثم صفة وموصوفاً[45]، ولا أن ثم شيئاً سوى الله عند ذوي العقول مجهولاً[46] ولا معروفاً.

وقال: معنى سميع: هو عليم، والحجة على ذلك قول الرحمن الرحيم: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ}** [الزخرف:80] ، والسر [هو][47] **ما انطوت عليه الضمائر، وقوله: {بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(15)} [آل عمران]** ، يريد عالم بهم، محيط بكل أمرهم، مطلع على خفي سرائرهم.

وقال: ألا ترى أن الفاعل لما لا يريد، فجاهل مذموم من العبيد، فكيف يقال بذلك في الله الواحد الحميد؟

وقال: لا فرق بين إرادة الله ومراده، وأن الإرادة منه هي المراد، وأن مراده هو الموجود الكائن المخلوق.

وقال في كتاب الديانة: ليس قدرته وعلمه سواه، [و][48]هو القادر لا[49] بقدرة سواه، وهو السميع البصير ليس سمعه غيره، ولا بصره سواه، ولا السمع غير البصر، ولا البصر غير السمع.

وقال: من زعم أن علمه وقدرته، وسمعه وبصره، صفات له، وأنه لم يزل موصوفاً بها قبل أن يخلق وقبل أن يكون أحد يصفه بها، وقبل أن يصف بها نفسه، وتلك الصفات زعم لا يقال هي الله ولا يقال هي غيره فقد قال منكراً من القول وزوراً.

وقال في كتاب الرد على أهل الزيغ من المشبهين: فلما صح عند ذوي العقول والبيان [وثبت في عقل كل ذي فهم وبيان][50] أن الحواس المخلوقة، والألباب المجعولة، لا تقع إلا على مثلها، ولا تلحق إلا بشكلها، ولا تَحُدُّ إلا نظيرها، صحت له لما عجزت عن درك تحديده الوحدانية، وثبت للممتنع عليها من ذلك الربوبية؛ لأنه مخالف لها في كل معانيها، بائنٌ عنها في كل أسبابها، ولو شاكلها في سبب من الأسباب، لوقع عليه ما يقع عليها من دَرَكِ الألباب، فلما تباينت ذاتُه وذاتَها، وكانت هي فعله وكان هو فاعلها، بانت بأحق الحقائق صفاتُه وصفاتُها، فكان درك الأوهام والعقول لها بالتبعيض والتحديد، وكان درك معرفته سبحانه بأفعاله، وبما أظهره[51] من آياته، ودل على نفسه من دلالاته.

[أقوال الإمام الناصر الأطروش(ع)]

وقال الناصر للحق – عَلَيْه السَّلام – الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – عَلَيْهم السَّلام – في كتاب البساط: وتمام توحيده نفي الصفات والتشبيه[52] لخلقه عنه لشهادة كل عقل[53] سليم من الرين بما كسب، والإفك فيما يقول ويرتكب، واتباعِ الأهوى[54] والرؤساء، أن كلَّ صفة وموصوف مصنوعٌ، وشهادة كل مصنوع بأن له صانعاً مؤلفاً، وشهادة كل مؤلَّفٍ بأن مؤلفه لا يشبهُهُ، وشهادةِ كل صفة وموصوف مؤلف بالإقتران والحدث[55]، وشهادة الحدث بالإمتناع من الأزل، فلم يعرف اللهَ سبحانه من وصف ذاته بغير ما وصف به نفسه.

وحكى عنه مصنف المسفر [أنه][56] قال: المفروض[57] معرفة الاسم والمسمى، وأن الاسم غير المسمى؛ لأن المسمى يعرف بالصنع والدليل، والاسم يعرف من طرق[58] السمع.

وقال في كتاب الكفر والإيمان: ثم انصدعت من هذه الملة طائفة تحلت باسم الاعتزال..إلى قوله بعد ذكره لكثير من تعمقهم: حتى خاضوا في صفات ذاته، وضربوا له الأمثال، وقد نهى الله[59] عن ذلك بقوله تعالى: **{فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ}** [النحل:74] ، **{وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ(33)}** [الأعراف] ، وبالغوا في [خلاف][60] ذلك، ولم يرضوا[61] حتى تعدوا إلى الكلام في كل ما لا يعلمون ولا يدركون، خلافاً لله تعالى ولرسوله – صَلَّى الله عَلَيْه وآله وَسَلَّم –، وابتداعاً وتخرصاً وميناً، ورمياً بعقولهم وحواسهم من وراء غاياتها.

..**إلى قوله**: وتكلموا من دقيق الكلام بما لم يُكَلَّفوا، وبما لعل حواسهم خُلِقت مُقصِّرةً عن إدراك حقيقتها، وعاجزة عن قصد السبيل فيها.

ومن شعره –عَلَيْه السَّلام– في معنى ذلك قوله:

قد تعدا الناس حتى أحدثوا بدعاً   في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسلُ

حتى استخف بحق الله أكثرهم — وفي الذي جعلوا[62] من حقه شغلُ

وقوله:

كل يرى الحق ما فيه قد اختلفوا — وهم بمفروض علم الحق جهالُ

أعني الأولى[63] فقههم إشراك ضدهم[64] — وسائر الناس بالإهمال عقالُ

وقوله:

فجاهد وقلد كتاب الإله — لتلقى الإله إذا مت بهْ

فقد قلد الناس رهبانهم — وكل يجادل عن راهبهْ

وللحق مستنبط واحد — وكل يرى الحق في مذهبهْ

[أقوال الإمام المرتضى بن الهادي(ع)]

وقال المرتضى لدين الله محمد بن يحيى – عَلَيْه السَّلام – في كتاب الشرح والبيان:

إن سأل سائل عن الدليل أن الأشياء خلقت لا من شيء فقال: ما الحجة في ذلك؟

فالقول في ذلك: أن الأشياء محدثة مجعولة مبتدعة [مخلوقة][65]؛ **لأن الله سبحانه كان ولا شيء.**

وقال: من قال: لم يزل فيما لم يزل، فقد أوجب أن مع الله شيئاً لم يزل، وإنما هذا من لغز المتناظرين، أو قول من قول المتجاهلين.

وقال[66]: يقال: الله حي لا يموت، ويقال الإنسان حي، وإنما يقال له حي على مجاز الكلام، وإنما هو على الصحة مُحْيَى.

وقال: نقول: إن الله تعالى العالم بنفسه، ولا يجوز أن نقول غير ذلك.

وقال: العرض لا يقوم بنفسه، ولا بد له من شبح يقوم فيه وبه.

وقال في كتاب الإيضاح: إنما أراد بقوله: شيء، أوقع عليه اسم الشيء إذا علم أنه سيكون بإيجاده له وذلك في كتاب الله موجود إذ يقول: **{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ(1)}**

[الحج] ، ولم تقم الساعة فيكون لها شيء يُعرف، وإنما أخبر عز وجل بما سيفعله مما ينتظمه اسم الشيء.

[أقوال الإمام الناصر بن الهادي(ع)]

وقال أخوه الناصر لدين الله أحمد[67] **بن يحيى – عَلَيْه السَّلام –** في كتاب النجاة: قولنا: إن الله تبارك وتعالى هو الأول قبل كل شيء من خلقه، ولم يزل عالماً بجميع الأشياء من قبل كونها أنها ستكون.

وقال: لا يقوم عرض إلا في جسم، ولا جسم إلا في عرض.

وقال في كتاب الموعظة: لا الضمائر تقع عليه، ولا الفكر تدركه، ولا طوامح العقول تكتنهه، ولا السمات تلزمه، ولا القياس يحيط به، ولا النظائر تنتظمه، ولا المشاعر[68] تلتمسه، ولا الأوهام تمثله.

[أقوال الإمام القاسم العياني(ع)]

وقال القاسم بن علي – عَلَيْه السَّلام – في كتاب الأدلة من القرآن على توحيد الله وصفته: ولا بد من معارض لنا في علم القرآن، ممن اكتفى بأفانين الكلام، وجعل من ذلك دليلاً على الرحمن يقول: إن القرآن لا يغني علمه عن النظر فإذا قال ذلك قائل، قلنا [له][69]: فالنظر دلتك[70] عليه نفسك أم دلك عليه خالقك في منزل كتابه؟

فإن قال: إن نفسه دلّته على ذلك من قبل دلالة خالقه، أحال ووجد الله سبحانه يأمره بذلك أمراً في كتابه ويندبه إليه ندباً.

وإن قال: إن ذلك من الله علم أن الله سبحانه [هو][71] الذي أمره بذلك، وندبه إليه، ووجد في جميع ما أمره[72] به دليلاً يغني عن كل دليل، ويهدي إلى كل سبيل..إلى آخر ما ذكره – عَلَيْه السَّلام – من كون القرآن معجزة وصنعاً لله سبحانه يدل عليه كسائر مصنوعاته تعالى.

وقال في كتاب التوحيد[73]: إن قال قائل: إذا زعمتم أنه شيء لا كالأشياء فما أنكرتم أن يكون جسماً لا كالأجسام، وإذا قلتم: إنه شيء لا يشبهه شيء

موجود ولا موهوم؛ فما أنكرتم أن يكون جسماً لا يشبهه جسم موجود ولا موهوم؟

قلنا: الفرق بينهما أن قول القائل: شيء إثبات، وليس يذهب الذاهب فيه إلى جسم دون عرض، ولا إلى عرض دون جسم، ولا إلى إنسان دون ملك، ولا إلى ملك دون إنسان؛ فلما كان ذلك كذلك لم يجب به تشبيه([74])، وقولنا: جسم وصف خاص لجنس دون جنس([75]) لا يجوز أن يشرك فيه غيره من الأشياء.

وقال: إن زعم زاعم أنه عالم بعلم ليس هو هو، ولا هو غيره، لم يكن بينه وبين من زعم أنه عالم بعلم هو هو وهو غيره فرق.

فإن زعم أن القائل إذا قال: هو هو، ثم قال: هو غيره فقد ناقض، قلنا: وكذلك إذا قال: ليس هو هو ثم قال: وليس هو غيره، فقد ناقض.

وقال: فإن([76]) قال: إنكم [قد]([77]) قلتم صفات ذات، وصفات فعل؛ فإذا قلتم صفات ذات فقد أثبتم صفاتٍ ما، وإذا قلتم إنا لا نرجع في ذلك إلى غير الذات فقد ناقضتم.

قلنا: ليس الأمر كذلك لأنا حين قلنا صفات الذات؛ فإنما أردنا [أن]([78]) نعلمك بذلك أنا لا نثبت بها غيره فلم([79]) نرد به [إلا]([80]) أن الصفات هي ذاته، وأن الصفات أشياء ليست غيره.

وقال في كتاب التجريد: وقولنا ذاته إشارة منا إليه نفسه، وليس إشارتنا هو هو ولا غيره، وإنما أسماؤه التي تسمى بها لنا، وصفاته التي وصف بها نفسه لنا، دلائل عليه ليستدل بها القاصدون، ليباشر بها قلوبهم اليقين البت، وتستشعر أنفسهم الحق المثبت.

وقال: صفاته دلائل عليه يدرك علمهن، ولا يدرك الموصوف بهن؛ لأنه جل وعلا بَعُدَ من([81]) المُدْرِك، وجل عن الدَّرَكِ، فهو كما قال عز [من] قائل: **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}** [الأنعام:103] ، وقال: **{وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا(110)}** [طه] ، فالله جل جلاله عز عن أن يحويه قول أو يناله يُعرَفُ بما جَعَلَ من

الدلائل عليه، ولا تُوْصِلُ شيءٌ من الحواس إليه، فليس ما نطقت به الألسن من صفاته هو هو، [ولا ما سمعت الآذان من صفاته هو هو، ولا ما كتبت الأيدي من صفاته هو هو][82]؛ **بل هو سبحانه الموصوف لا الصفات، والمعروف بما تَعَرَّفَ به إلى خلقه من الآيات.**

وقال: صفاته كلها محدث علمها لنا، وسابقة في علمه قبل كوننا، وقد فطرنا جل وعلا على فطرة لم يَعْرِها من الصفات، ثم قال: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}** [الشورى:11] ، (فكان كما قال جل وعلا)[83].

وقال: إن سأل سائل عن الموجود القديم[84]، **أموجود لنفسه أم لغيره، أم لنفسه ولغيره، أم لا لنفسه ولا لغيره؟**

فإنا نقول: إن كان سؤالك عن الله سبحانه؛ فإنا نقول: إنه موجود لا بإدراك كما وصف نفسه فقال: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا(64)}** [النساء] ، فقال: لوجدوا.

وأما قوله: موجود لنفسه ولغيره..إلى آخر قوله؛ فليس هذه الصفة من صفات الله سبحانه التي وصف بها نفسه، ولا من صفات الخير التي وصفه بها أولياؤه؛ لأن الموجود لنفسه ولغيره له موجد لم يزل والله سبحانه يعز عن هذه الصفة ويجل، وإنما يوصف بما وصف به نفسه؛ لأنه الموجد لكل موجود لا أن وجوده كوجود الموجودات لأنفسها ولغيرها تبارك الله عن ذلك وعلا علواً كبيراً.

وقال: والله فعظيم الشأن، قوي السلطان، لم يزل مدركاً للأشياء قبل تكوينها، ولا فرق بين دركه لها بعد تكوينها، وبين دركه لها قبل تكوينها.

وقال: فإن قال: فما معنى قول الله: **{إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى(46)}** [طه] ، فقد تجده يصف نفسه بالسمع والبصر؟

فإنا نقول: [إن][85] الرآي من الخلق هو المدرك لما أبصر، وكذلك السامع فهو المدرك لما سمع، فَلِدَرَكِ السامع لما سمع وُصِفَ بالسمع المخروق، ولِدَرَكِ المبصِرِ ما أبصر[86] وُصِفَ

بالعين ذات الجُفْنِ المشقوق؛ فأما الله سبحانه فيُدْرِكُ المسموعات والمبصرات لا بآلة من الآلات لكن دَرَكُ قدرة بها وصف[87] نفسه، ولا هي هو ولا غيره من المجسمات من خلقه، لكنها من كلماته المخلوقات.

وقال: فإن قال السائل: فما الفرق بين إرادة الله لما يفعل وبين إرادة المخلوقين لما يفعلون؟

فإنا نقول للسائل: إن بين صفات الله وصفات خلقه فرقاً والحمد لله؛ لأن إرادة الله سبحانه صفة له، ومراده وجود فعله، وإرادة المخلوقين خواطر في ضمائر القلوب، وبين ذلك فرق كبير لا يخفى إلا على من ضعف فهمه وقل عقله.

فإن قال السائل: فلا أرى[88] لله إرادة إذا كان مراده وجود فعله.

فإنا نقول: إن مراده لو لم يكن وجود فعله لكانت صفاته كصفات خلقه.

[أقوال الإمام الحسين بن القاسم(ع)]

وقال ابنه الحسين بن القاسم – عَلَيْه السَّلام – في كتاب الرد على الملحدين: اعلم أن قولنا شيء، إثبات موجود ونفي معدوم، وقولنا: لا كالأشياء، نفي للتشبيه.

وقال: هو الأول لا قبل لأوليته، ولا كيف لأزليته، كان في حال القدم قبل بريته ولا عقل ولا معقول سواه، ولم يكن معه أزمنة ولا شهور ولا ساعات، ولا أمكنة ولا أوقات، ولا علم ولا معلوم، ولا فهم ولا مفهوم، ولا وهم ولا موهوم.

وقال في الصفات ونحوها: إذا جعلتها أزلية بطل الحدث، وإذا جعلتها محدثة بطل القدم، وإذا جعلتها محدثة أزلية فسد قولك.

وقال: لم يزل عالماً بجميع فعله، عالماً بما سيريد كينونته، وإنما الذي يريد بلا علم تقدم، ويضمر بغير تكوين هو الإنسان الجاهل، الجائل الفكر الذي تحدث له النية بعد النية، والإرادة بإضمار القلب والطوية، ولو كانت إرادته قبل فعله لكانت كإرادة المخلوقين، ولكانت عرضاً من جسم، ولو كان جسماً لأشبه الأجسام، وإنما إرادته فعله، وفعله مراده، وليس ثم إرادة غير المراد، فيكون مشابهاً للعباد.

وقال في كتاب شواهد الصنع: إذا كان هذا المحدث عدماً قبل حدوثه (فالعدم لا شيء، ولا شيء لا يكون شيئاً بغير شيء)[89]، وذكر الجسم والعرض، والجزء الذي زعم من زعم أنه واحد في نفسه لا يتجزأ.

وفي كتاب مهج[90] الحكمة والفوائد بكلام[91] جملته[92]: أن كل محدث لا يخلو من أن يكون جسماً أو عرضاً؛ فالجسم ما يقوم بنفسه وتحله الأعراض، والعرض ما لا ينفرد بذاته ولا يوجد إلا حالاً، واستدل على بطلان كون الجزء واحداً في نفسه بكونه غير خال من الحركة أو[93] السكون، وما لم يخل من صفة مقارنة[94] فليس بواحد في نفسه، واستدل على أنه يتجزأ بكونه لا يوجد إلا في جهة، وكل متحيز فله جوانب تحويه.

وقال في كتاب الصفات: فإن قال: ما أنكرت من أن يكون علم الله لا هو الله ولا هو غيره؟

قيل له ولا قوة إلا بالله: لا بد أن يكون هذا العلم الذي ذكرت[95]، [وغيره][96] من الصفات التي زعمت، محدثاً أو قديماً، خالقاً أو مخلوقاً، موجوداً أو معدوماً.

فإن قلت: إن علم الله محدث، جهَّلته، وإن قلت: إن علمه شيء موجود قديم، فلا يُعلم شيء موجود قديم إلا هو وحده، وأما قولك: لا هو هو، ولا [هو][97] غيره؛ فهذا لا شيء؛ لأن الله سبحانه قديم وغيره محدث.

وقال: إن كنت أردت الأسماء من الألفاظ والكلام، وما ينطق به من ذلك جميع الأنام، وما يوجد في الصحف والأجسام، فذلك غير الموصوف، لأن الموصوف هو الله، وهذا الكلام [هو][98] من المفعولات المحدثات، والله أحدث علم ذلك وغيره من الصفات، وإن كنت أردت المسمى بهذه النعوت فهو الله رب العالمين، وهو معناها عند المؤمنين.

وقال في جوابه ليحيى بن مالك[99]: ما تفسير علم الله وقدرته، إلا كتفسير وجهه ونفسه، فهل يقول أحد[100] يعقل بأن[101] له وجهاً كوجه الإنسان، أو نفساً كأنفس ذوي الأبدان؟ هذا ما لا يقول به أحد من ذوي الألباب، ولا يعتقده في الله رب الأرباب، وإنما وجهه هو ذاته، وكذلك علمه وقدرته.

[أقوال الإمامين أبي الفتح الديلمي والمنصور بالله (ع)]

وقال الإمام الديلمي أبو الفتح بن الحسين بن الناصر بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب – عَلَيْهم السَّلام – في تفسيره لقول الله سبحانه: **{وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}** [الروم:27]، إنما [بين الله تعالى([102])] للإنسان تنقل أحواله حتى استكمل خلقه ليعلم نعمته عليه، وحكمته فيه، وأن بعثه بعد الموت أهون [عليه]([103]) من إنشائه ولم يكن شيئاً.

وحكى الإمام المنصور بالله – عَلَيْه السَّلام – في الرسالة الناصحة للإخوان جملة من محالات المطرفية تدل على بطلان ما شابهها من محالات المعتزلة **منها** قولهم: إن العرض ليس بحال ولا محلول، ولا قديم ولا محدث، **وقولهم**: الإحالة إرادة الله ومراده، لكنه لم يردها، **وقولهم**: إن الله تعالى سمي بأنه([104]) كائن، و([105])أنه مشارك للأجسام في هذه التسمية.

فهذه جملة من أقوال الأئمة – عَلَيْهم السَّلام – ليس منها قول يذهب إليه الأئمة – عَلَيْهم السَّلام – إلا ومن أقوال المعتزلة ما يخالفه، ولذلك انتزعتها دون غيرها.

والحمد لله([106]) رب العالمين وصلى([107]) الله على محمد وآله وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

()- زيادة من نخ (أ،ج).

()- نخ (ب): المختار.

()- نخ (ب): التدبير.

()- في (ب): بما افترض.

()- نخ (ب): لن يدعوا.

() - نخ (ج): نظروا.

()- زيادة من نخ (أ).

()- نخ (ب): فانظر.

()- نخ (ج): فالحمد.

()- نخ (أ): عن.

()- نخ (ب): أنه لا شبه له.

()- في (ب): بشهادة.

()- نخ (ب): الملكيته.

()- في (ب، ج): عن العقول.

()- نخ (ج): أنه لا إحاطة به.

() - نخ (ج): أنه لا معدل عنه.

() - نخ (ج): بأنه .

() - زيادة من نخ (ج).

()- زيادة من نخ (ب،ج).

()- في (ج): إذ لا مألوه.

()- نخ (ب): وأسماؤه.

()- زياد من نخ (أ،ب).

() - نخ (ج): ومقدر لا بجولان فكر.

()- زيادة من نخ (أ).

()- نخ (ب،ج): سمي.

()- في (ب،ج): ما شيأ.

()- زيادة من نخ (أ، ج).

()- نخ (ب): مما. نخ (ج): فما.

()- زيادة من نخ (أ).

()- في (د): يعم جميع الأشياء.

()- زيادة من نخ (ب).

()- في (ب): مسائل.

()- زيادة من نخ (أ).

()- نخ (ب): سبحانه.

()- زيادة من نخ (أ).

()- في (ب): الإيمان.

()- زيادة من نخ (أ،ج).

()- نخ (ج): عظم.

()- زيادة من نخ (أ،ج).

()- زيادة من نخ (ب).

()- في (ب): درك.

()- نخ (ب): إلى الحق.

()- نخ (ج): الوجود.

()- زيادة من نخ (أ،ب).

()- في (أ): موصوفة، وهو خطأ.

() - نخ (ج): مجهولاً ولا معقولاً ولا معروفا.

()- زيادة من نخ (ب،ج).

()- زيادة من نخ (ب).

()- نخ (ب): وهو القادر الذي لا بقدرة سواه.

() - زيادة من نخ (ج).

()- في (ب،ج): ظهر من آياته ودل به على...

()- في (ب): والتشبيه عنه لخلقه.

() - نخ (ج): عاقل.

()- نخ (ب): الهوى.

()- نخ (ج): والحدوث.

()- زيادة من نخ (أ،ب).

()- في (ب): من معرفة الاسم.

() - نخ (ج): طريق.

()- نخ (ب): تعالى.

()- زيادة من نخ (أ،ج).

() - نخ (ج): ولم يرتضوا.

()- في (ب،ج): حملوا، و(د): جهلوا.

()- في (د): أولي.

() - نخ (ج): صيدهم.

()- زيادة من نخ (ب،ج).

()- في (ب): وقد.

()- هو الإمام الناصر لدين الله أبو الحسن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

كان متقدماً في الفقه، ناشئاً على الزهد، بطلاً شجاعاً، جامعاً لخصال الإمامة، وكان وقت وفاة أبيه الهادي إلى الحق –عَلَيْه السَّلام– غائباً في الحجاز؛ فورد –عَلَيْه السَّلام– إلى اليمن، وتنازل الإمام محمد المرتضى بتسليم الأمر لأخيه –عَلَيْهما السَّلام– في شهر صفر سنة إحدى وثلاثمائة.

وقام بالدعوة وبايعه الناس، فساس الأمور أحسن سياسة، وجرى على طريقة أبيه في بث العدل والنَّصفة، وجاهد –عَلَيْه السَّلام– القرامطة حتى استأصلهم وأبادهم، ومن وقائعه معهم وقعة ذي نغاش المشهورة.

وله مؤلفات، منها: المفرد، وجواب مسائل موسى بن هارون العوفي، وجواب مسائل الطبريين، وكتاب النجاة.

توفي –عَلَيْه السَّلام– سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وكانت مدة ظهوره نحو ثلاث عشرة سنة، وقبره بصعدة حرسها الله إلى جنب أبيه وأخيه.

() - قال في هامش نخ (ج): أي الحواس التي يشعر بها الإنسان. تمت.

() - زيادة من نخ (ج).

()- في (ب): دلك، وفي (أ): دليلك.

() - زيادة من نخ (ج).

()- نخ (ب): أمر.

()- قال في نخ (أ): في حاشية الأصل قال: الله أعلم هل كتاب التوحيد له أو لغيره. تمت الحاشية. قلنا: كتاب التوحيد له –عَلَيْه السَّلام– كما ذكر ذلك في كتابه التنبيه والدلائل وذكر أنه في الأصول الخمسة ومعانيها.

()- نخ (أ): شبه.

()- نخ (ب): وصف خاص لوصف دون وصف.

()- في (ب): فإن قال قائل.

()- زيادة من نخ (ب، ج).

() - زيادة من نخ (ب، ج).

()- في (ب): ولم نرد أن الصفات..إلخ.

() - هذه زيادة غير موجودة في الأصل وإنما وجدت في نخ (ج) تحت علامة الظن وهي الموافقة لكلام الأئمة (ع) من أن صفاته –تعالى– ذاته . تمت.

()- في (ب): عن.

()- زيادة من نخ (أ،ج).

()- نخ (ج): وهو كما قال جل وعلا.

()- نخ (ج): والقديم.

()- زيادة من نخ (ب،ج).

()- نخ (ب): بالبصر.

()- نخ (ب): لكن درك قدرة وصف بها نفسه

()- نخ (أ): فلا أدري.

()- نخ (أ): فالعدم لا شيء ولا لا شيء لا يكون شيئاً بغير شيء.

()- نخ (ب): منهج.

()- نخ (أ): بكتاب.

()- في (ب): جملته من أن.

() - نخ (ب): والسكون.

() - نخ (ج): مقارنة في جهة.

() - نخ (ج): ذكرته.

()- زيادة من نخ (أ،ب).

()- زيادة من نخ (ب).

()- زيادة من نخ (أ،ج).

()- نخ (ج): ليحيى بن خالد.

()- نخ (أ): واحد.

()- نخ (ب): إن.

()- ما بين القوسين ساقط في (ب).

() - زيادة من نخ (ج).

()- نخ (ب): أنه.

()- نخ (أ): أو.

() - في آخر نخ (ج): والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، تم ذلك يوم الأربعاء في شهر ربيع الآخر سنة (1091هـ).

()- وصلاته على خاتم النبيين وآله الطاهرين.